# تفسيرُ
# آية الرضاعة من سورة البقرة
# تحليل ومقارنة

إعداد الباحثة:
زهرة شعبان سعيد المازني
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

# مقدمة

إن الحمد لله بحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(1).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(2).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا)(3).

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد :

فإن الاشتغال بالقرآن الكريم ، وما يتعلق به من : تفسير وبيان لمجمله وفهم لمعناه وأسباب نزوله، والذب عنه ورد ما لا يصح في تفسيره إلىٰ غير ذلك: خير ما يشغل به الوقت ، وأفضل ما يسعى إليه في العمر، واشف ما يتحصل عليه ؛ إذ هو اشتغال بكلام رب العالمين : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(4).

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء : آية (١).

(٣) سورة الأحزاب : آية (٧٠-٧١).

(٤) فصلت : الآية (٤١-٤٢).

**عنوان البحث:**

وقد أسميته (**تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة تحليل ومقارنة**).

**أسباب اختيار الموضوع:**

واخترت الكتابة في تفسير هذه الآية لعدة أسباب:

١- إبراز جانب من جوانب عظمة الدين الإسلامي ، في أحكامه وتشريعاته .

٢- كثرة وقوع النفس فى الاختلاف فى أحكام الرضاع ، فكانت الحاجة ملحة لبيانها وتقريب معانيها.

٣- تلمس جانب من جوانب مكانة وعظمة سورة البقرة المشتلة لهذه الآية.

٤- أن الآية مجا خصب لتفسيرها تفسير تحليلها لما اشتملت عليه من أقوال متعددة للمفسرين في بيان المراد من ألفاظها.

**أهداف البحث:**

١- التمرس والتدريب علىٰ تفسير آيات الأحكام من القرآن تفسيراً تحليلاً مقارنـًا، بعرض الأقوال والجمع بينما إن أمكن ، أو الترجيح .

٢- جمع الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة التي يستفاد منها في بيانات فضلها وعظمها.

٣- كشف الغطاء عن معاني ألفاظها ، وبيان أحكامها ، ولطائفها البيانية.

**خطة البحث:**

وقد جعلت البحث فى مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة ، وكشافات:

- **المقدمة:**

وتشمل علي خطبة الحاجة ، وتسمية البحث ، وسبب اختياره ، وأهدافه ، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابته .

**المبحث الأول: مقدمات مهمة بين يدي أية الرضاعة من سورة البقرة.**

**وتحته خمس مطالب:**

**المطلب الأول:** مدنية سورة البقرة.

**المطلب الثاني :** أسماء السورة وعدد آياتها.

**المطلب الثالث:** ما ورد في فضل سورة البقرة.

**المطلب الرابع:** مناسبة ترتيب سورة البقرة في القرآن.

**المطلب الخامس:** مقاصد السورة.

**المبحث الثاني: تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة تحليل ومقارنة.**

**وتحته تمهيد وأربعة مطالب:**

**التمهيد : روافد آية الرضاعة:**

**المطلب الأول :** القول في تأويل قوله تعالىٰ : **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)**

**المطلب الثاني:** القول في تأويل قوله تعالىٰ: **(وَعَلَىٰ المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ).**

**المطلب الثالث:** القول في تأويل قوله : **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)**

**المطلب الرابع:** القول في تأويل قوله تعالىٰ: **(وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).**

**الخاتمة:** وتشمل علىٰ أهم النتائج ، والتوصيات.

**الكشافات:** زودت البحث بكشافين:

**كشاف المصادر المراجع.**

كشاف الموضوعات.

المنهج الذي سأسير عليه فى البحث:

وسأنتهج في البحث المنهجية العلمية المقررة في كتابة بحوث التفسير التحليلي قدر استطاعتي ، ومن ذلك:

- أتناول مقدمات السورة في مبحث خاص.
- قدمت لتفسير آية الرضاع بروافد معينة علىٰ تفسير الآية من المعاني اللغوية والنواحي الإعرابية ، والقراءات والناسخ والمنسوخ فيها.
- قسمت الآية إلىٰ أربعة مقاطع ، كل مقطع يشكل ركنًا من أحكام الآية فى باب الرضاع.
- تناولت التفسير بعرض أقوال السلف والمفسرين في معني ألفاظ الآية والجمع بينها إن أمكن أو الترجيح حسب القواعد التي قررها علماء التفسير وأصوله، ثم تناولت المسائل والأحكام في دلت عليها الآية في باب الرضاع بالدراسة والترجيح وإبراز النواحي البلاغية فى الآية.
- اعتدت في الأحكام التي دلت عليها الآية علىٰ كتب أحكام القرآن وحاولت الجمع بذكر آراء المذاهب الأربعة ما أكن ذلكن دون الرجوع لكتب الفقه لئلا يخرج البحث عن موضوعه.
- أخرج الأحاديث والآثار المستشهد بها من مظانها ، فإن كانت في الصحيحين أو احدهما فإني أكتفىٰ بذلك ، وإن لم تكن في الصحيحين فأعزوها إلىٰ من أخرجها من أهل المصنفات الحديثية ومصنفات علوم القرآن المسندة بما يقتضيه المقام دون استيعاب.
- اذكر درجة الأحاديث المستشهد بها أثناء البحث بحسب ما يقتضيه المقام ، فإن لم تكن في الصحيحين فاستأنس أحكام العلامة الألباني عليها ، أن غيره من أصحاب المصنفات الحديثية ، فإن لم أجد فأحيل علىٰ من تناولها بالدراسة

والحكم بحسب الوسع والطاقة.

- أعرف بالألفاظ الغريبة الواردة في البحث حسب ما يقتضيه المقام.

خرجت القراءات الواردة من الآية فإن كانت من القراءات العشر المتواترة اعتمدت علىٰ الكتب المصنفة في ذلك وإن كانت شاذة أخرجتها من كتابي المحتسب لأبن حنىٰ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه، وما لم أقف عليها مهما فاكتفيت بعزوها لكتب التفسير التي تبين القراءات الشاذة في الآية كالبحر والكشاف.

**عود علىٰ بدء:**

فهذه محاولة مني لتفسير آية من آيات الأحكام تفسيراً تحليليـاً مقارنـاً ، والترجيح بين الأقوال المتخالفة فيها ، وإبراز الجملة من أحكامها الفهمية ، التي كتبتها لنفسي أولاً ثم لعموم المسلمين.

**وصلىٰ الله علي نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.**

# المبحث الأول

## مقدمات مهمة بين يدي أية الرضاعة من سورة البقرة

وتحته خمس مطالب:

**المطلب الأول:** مدنية سورة البقرة.

**المطلب الثاني:** أسماء السورة وعدد آياتها.

**المطلب الثالث:** ما ورد في فضل سورة البقرة.

**المطلب الرابع:** مناسبة ترتيب سورة البقرة في القرآن.

**المطلب الخامس:** مقاصد السورة.

## المطلب الأول :

## مدنية سورة البقرة

إن من أشرف علوم القرآن ؛ علم نزوله وجهاته ، فهو يعين المفسر علىٰ معرفة الناسخ والمنسوخ[1]، وتخصيص العام عند من يري تأخير المخصص [2]، والاستعانة به في تفسير القرآن[3].

وهو يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم ، غير أنه لم يكن من النبي (ﷺ) في ذلك قوله ، ولا ورد عنه أنه قال : اعملوا أن قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا وفصلَّه لهم ، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر فم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني مما لا يسوغ الجهل به ، لم تتوفر الدواعي علىٰ إخبارهم ، ومواصلة ذكره علىٰ أسماعهم وأخذهم بمعرفته ، وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد[4].

**تحديد زمن نزول سورة البقرة:**

اتفقت روايات السلف من الصحابة والتابعين علىٰ أن سورة البقرة مدنية جميعها بلا خلاف ، وبذلك قال عامة المفسرين[5] ؛ قالت عائشة – رضىٰ الله عنها– (ما نزلت

---

(١) البرهان للزركشي (١/ ١٨٧).

(٢) الاتفاق للسيوطي (١/ ٢٧).

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٥٩–٦٠).

(٤) انظر : البرهان للزركشي (١/ ١٩١–١٩٢).

(٥) انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٩٧) ، لابن سلامة المقري (٣٢)؛ معالم التنزيل للبغوي (١/ ١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ١٣٦) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣٧) ؛ مفاتيح الغيب للرازي (١/ ١٥٠) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٣٤) ، لباب التأويل للخازن (١/ ١٨) ، التسهيل لعلوم التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٥٧)، تفسير ابن كثير، (١/ ١/ ١٥٥–١٥٦) ، الكشاف للزمخشري

سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده[1] ؛ أي عند النبي( ﷺ ) ؛ لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقاً [2]؛ لحديث عروة قال : (قال توفيت خديجة قبل مخرج النبي( ﷺ ) إلىٰ المدينة بثلاث سنين، أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنىٰ بها وهي بنت تسع سنين)[3].

وبه قال ابن عباس [4]، وعبد الله بن الزبير [5]، وزيد بن ثابت [6]، وعلىٰ بن أبي طلحة[7]، وعكرمة والحسن بن أبي الحسن[8]، وقتادة [9]، وعن الزهري[10].

---

(١/ ٢٨٦٩ ، الاتقان للسيوطي (١/ ٣٣-٣٤)، روح المعاني للألوسي(١/ ١٣٣)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٢٠١).

(١) أخرجه البخاري في التصحيح (٩/ ٤٦ رقم ٤٩٩٣)

(٢) انظر : فتح الباري (٩/ ٤٩).

سواء علىٰ القول بأن النبي ( ﷺ ) بنىٰ بعائشة في شوال من السنة الأولي من الهجرة ، أو علىٰ بداية السنة الثاني للهجرة . انظر : فتح الباري (٧/ ٢٨٣ م ٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٧/ ٢٨٣ رقم ٣٨٩٦) وانظر رقم (٣٨٩٤).

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٤١٥-٤١٦) من رواية كريب عنه.

وقوله البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣-١٤٤) وقال السيوطي في الاتفاق (١/ ٣٠) : إسنادة جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين "أهـ.

(٥) عزاء السيوطي في الدر المنثور لابن مردويه (١/ ٩٤) . وانظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٥٦).

(٦) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٥٦).

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٥ رقم ٦٦٢) ، ومن طريقه ابو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن (١٣٤) وصحح الحافظ ابن كثير إسناد أبي عبيد في فضائل القرآن (٣٩).

(٨) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٣) وصحيح إسناده محمد شفاعت في المكي والمدني(٦).

(٩) أخرجه أبو بكر الأنباري (١/ ٣٣ –الاتقان للسيوطي) ، وأبو عمرو الداني في البيان (١٣٣) ، وصحح إسنادهما محمد شفاعت في المكي والمدني (٦).

(١٠) الناسخ والمنسوخ للزهري (٢٩-٣٠) وقيل عنه أنها ثاني سورة أنزلت بالمدينة . ولا يثبت عنه لأن إسناده ضعف جداً . انظر : المكي والمدني لمحمد شفاعت(٦).

وذهب إلىٰ أنها أول ما نزل بالمدينة [1]؛ ابن عباس[2]، وجابر بن زيد[3]، وعكرمة[4].

ونزلت سورة البقرة في مدد شتىٰ[5].

وآخر ما نزل منها فيه ثلاثة أقوال:

١ – قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ﴾[6]، قال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن جريج: يقولون: إن النبي (ﷺ) مكث بعدها تسع ليال، وبُدئ يوم السبت، ومات يوم الاثنين[7].

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٩٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١/ ٢٣٤)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٥٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١/ ١٥٥-١٥٦)، فتح الباري للحافظ (٨/ ٢٠٣).وقد حكى الحافظ ابن كثير وابن حجر الاتفاق فيٰ ذلك.

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢١) من رواية عطاء عنه. وإسناده شديد الضعف؛ فيه عمر بن هارون البلخي، قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب (٤١٧ رقم ٤٩٧٩): "تروك وكان حافظاً".

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في البيان (١٣٤-١٣٥).

(٤) عزاء السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٤) إلىٰ أبي داود في الناسخ والمنسوخ.

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٤).

(٦) سورة البقرة (٢٨١).

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٠ رقم ٦٧٧) والطبري في التفسير (٥/ ٦٨) عن الحجاج عن ابن جريج عنه به، ومن طرق عنه به – دون زيادة ابن جريج –، وكذا أخرجه الطبري من طرق عن جماعة من التابعين.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٠٧ رقم ١١٠٥٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣٧) كلاهما من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وأخرجه أبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن (٣٨) والفريابي في تفسيره (١/ ٧٨ – الاتقان) والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣٧) جميعهم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وازاد الفريابي والبيهقي: "نزلت بمنىٰ وبينها وبين موت رسول الله واحد وثمانون يوماً".

وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٠) إلىٰ عبد حميد، وابن المنذرة، والطبراني، وابن مردويه. ونسبه لعدد من التابعين أيضاً.

وقيل : نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمني[1].

٢- آية الربا ؛ قوله تعالىٰ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[2]، قال ابن عباس – رضىٰ الله عنه – : آخر آية نزلت علىٰ النبي ( ﷺ ) آية الربا)[3].

٣- آية الدين ؛ قوله تعالىٰ : (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ)[4]، عن ابن شهاب قال : (آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين)[5]، وعن سعيد بن المسيب أنه بلغه (أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين)[6].

**الجمع بين هذه الأقوال والترجيح:**

يظهر مما سبق:

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٣٤) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣٧) ، لباب التأويل للخازن (١٨) ، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٥٧).

(٢) سورة البقرة (٢٧٨ – ٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري فى الصحيح (٨/ ٢٥٩ رقم ٤٥٤٤) باب : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ)، وأخرجه (٤/ ٣٩٤) معلقاً عنه به قال : (هذه آخر آية نزلت علىٰ النبي( ﷺ )).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٦ ، ١٤٩ رقم ٢٤٦ ، ٣٥٠) وابن ماجه في السنن (٣/ ٣٨٠ رقم ٢٢٧٦) وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٦) ، والطبري فى التفسير (٥/ ٦٦) من طريق قتادة عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب.

قال شعيب الأرتؤوط : حسن جاله ثقات رجال الصحيحين.

(٤) سورة البقرة (٢٨٢).

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٩ رقم ٦٧٥) .

(٦) أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٦٨) من طريق ابن شهاب عنه به.

وقال السيوطي في الاتقان (١/ ٧٩) : " مرسل صحيح الإسناد" .

١- أن هذه الأقوال ليس فيها شئ مرفوع إلىٰ النبي( ﷺ ).

٢- أنها في درجة القبول ، وأصحها ما أخرجه البخاري عن ابن عباس : آية الربا المختومة بقوله: (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ**) .

٣- أن الأقوال في حقيقتها متفقة ؛ إذ آية الربا المقصودة تشمل آية (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ**) ، ومن قال بأنها آية الدين آخراً ، جمع معها آية الربا ، وهي متتالية فى المصحف.

٤- بعض الأقوال صرحت أن هذه الآيات آخر القرآن نزولاً وليست فقط آخر ما نزل من سورة البقرة.

جمع الإمام البخاري – رحمه اله – بين قولي ابن عباس الأول والثاني ؛_ فأخرج قول ابن عباس بأن آية الربا آخر آية تحت باب : (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ**) ، كما أخرجه معلقًا عن تحت باب : موكل الربا لقوله تعالىٰ : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) إلىٰ قوله : (**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**).

قال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) – رحمه الله - : " لعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس ، ... ، وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن " أهـ[١].

وقال السيوطي (ت٩١١هـ) – رحمه الله - : " الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في الصحف ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح " أهـ[٢].

كما رجح الحافظ ابن حجر ، والزرقاني[٣] أن آية (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ**) هي آخر الآيات المذكورة نزولاً ، كما يرجح أنها آخر القرآن نزولاً علىٰ الإطلاق لما

(١) فتح الباري (٨/ ٢٠٥).
(٢) الاتقان (١/ ٧٩).
(٣) انظر : فتح الباري (٨/ ٢٥٩) متأهل العرفان (١/ ٩٧-٩٨ ، ١٠٠).

اشتملته الآية من:

- الإشارة إلىٰ معني الوفاة المستلزمة لخاتمة الوحي والدين ، وذلك بما تحت عليه من الاستعداد ليوم المعاد والرجوع إلىٰ الله لاستيفاء الجزاء العادل ، وذلك أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها(١).
- التنصيص في رواية آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ بأن النبي( ﷺ ) عاش بعد نزولها تسع ليال(٢)، ولم تظفر الآيات الأخرىٰ بنص مثله.

ولا يشكل عليها قوله تعالىٰ : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٣)، لأن هذه الآيات وإن كانت تحث علىٰ الاستعداد ليوم المعاد ، ولكنها لم يرد فيها نص مرفوع ، ولا أثر موقوف علىٰ نزولها آخراً.

والذي يظهر لي : كما رجح الحافظ ابن حجر ، والزرقاني ؛ أن آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ﴾ آخر الآيات نزولاً.

---

(١) وقد وردت أقوال أخر في آخر ما نزل من القرآن ، وحمل الآخرية فيها علىٰ التقييد ، أما سورة النصر فالأخرية في نزولهما ، سورة كاملة ، فيما هو مشعراً بوفاة الرسول( ﷺ ).

انظر : البرهان للزوكشي (١/ ٢٠٩ – ٢١٠) ، فتح الباري (٨/ ٩٥٢) ، الاتقان للسيوطي (١/ ٧٨-٨٠٩ ، متأهل العرفان للزرقاني (١/ ٩٦-١٠٠).

(٢) وروي : أقل سبع ليال وثلاث ، وأكثر : واحد وثمانون يوما – – ، حاشية (١) – ، وواحد وعشرون يومـاً . انظر : فتح الباري (٨/ ٢٥٩ ، ٩٥٢).

(٣) سورة البقرة (٤٨) . ومشابهتها سورة البقرة (١٢٣).

## المطلب الثاني:

## أسماء السورة وعدد آياتها

قد ثبت كثر من السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، وقد يكون للسورة اسم واحد ، وهو كثر وثد يكون لها اسمان فأكثر ، من ذلك : الفاتحة ، وذلك يدل علىٰ شرفها ، فإن كثرة الأسماء دالة علىٰ شرف المسمي[1].

قال الزركشي " : ينبغي البحث عن تعداد الأسامي ، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني ، فلم يعد الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثرة تقتضي اشتقاق اسماء لها ، وهو بعيد " أ هـ[2].

وقد رد في تسمية سورة البقرة عدة أسماء متضمنة لما اشتملته السورة من معاني ، ومما وقفت عليه تسميتها ب:

١- سورة البقرة: وقد وردت تسميتها بهذا الاسم في أحاديث كثرة – كما سيأتي في فضلها – وكا جري ذلك في أقوال الصحابة كما تقدم من قول عائشة وغيرها من نزلها بالمدينة.

ووجه تسميتها بهذا الاسم: لما انفردت به دون سائر السور من ذكر قصة البقرة التي أمر الله بنيٰ إسرائيل يذبحها لتكون آية . **وعلامة**[3].

٢- الزهراء: بالإفراد ، لما ورد في تسميتها مع سورة آل عمران ب (الزهراوين) .

وقد اجتمع السمان – البقرة والزهراء – في حديث واحد ، فعن أبي أمامه الباهللي قال:

---

(١) انظر : الإتقان للسيوطي (١٤).

(٢) البرهان (١/ ٢٧٠-٢٧١) وانظر مجاز القرآن (١/ ٥-٦) لأبي عبيدة.

فائدة أسماء السور التي اشتهرت بما توقيفيه ، وما جاء ي أسمائها من غير أثر فهي من باب الأوصاف للسورة .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (١/ ٢٠١).

سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: (أقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعـًا لأصحابه أقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان علىٰ أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخدها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)[1].

ومعني الزهراء: مادة الزاء والهاء والراء تدل علىٰ حسن وضياء وصفاء [2]، فالزهراء المنيرة [3].

ووجه تسميتها بهذا الاسم: قال القاضي عباس (ت ٥٤٤ هـ) – رحمه الله – : " المنيرتان إما لهدايتهما قارئهما ، أو لما يسبب له أجرهما من النور يوم القيامة " أهـ[4].

وقال الإمام القرطبي (ت٦٥٦ ) – رحمه الله – : " ويقع لي أنهما سميتا بذلك؛ لأنهما اشتركنا في تضمن اسم الله الأعظم " أهـ[5].

٣- سنام القرآن : وسميت بذلك لحديث عبد الله بن مسعود (ﷺ) قال : قال رسول الله(ﷺ): (إن لكل شيء سنامـًا وسنام القرآن سورة البقرة وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ خرج من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة)[6].

والسنام : مادة السين والنون والميم تدل علىٰ العلو والارتفاع [7]، وسنام كل شيء أعلاه[8].

وسميت بذلك لعلوها علىٰ سائر القرآن في إحاطتها بأحكام كثيرة ، وعظم أجرها ،

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/ ٣٣٠-٣٣١ رقم ١٨٧١)

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣١).

(٣) النهاية في غريب الحديث(٤٠٦).

(٤) إكمال المعلم (٣/ ٩٨) . ونظر : المنهاج للنووي شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٣٠-٣٣١).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٠٧/ ٦٣).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٦١) مرفوعـًا وموقوفـًا ، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي. وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٣٥ رقم ٥٨٨).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٠٧).

(٨) النهاية في غريب الحديث (٤٤٨).

وعظيم بركتها ، وطردها للشياطين.

٤ - فسطاط القرآن : لما ورد من قول خالد بن معدان : (سورة البقرة تعليمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة وهي فسطاط القرآن)[١].

والفسطاط : - بالضم وبالكسر – المدينة الجامعة ؛ ومجتمع كل شيء[٢]، والفسطاط : الجماعة[٣].

وسميت بذلك لعظمها ولما جمع فيها من أحكام لم تذكر في غيرها[٤].

ويظهر لي أن الأسمين الأخيرين ليسا علماً لها ، وإنما وصف تعظيم وتشريف.[٥]

## ما ورد في كراهية تسميتها بسورة البقرة :

كره بعضهم أن يقال سورة البقرة ، سورة آل عمران ، وإنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة ، وهكذا في سائر القرآن ؛ وذلك لما ورد من حديث أنس بن مالك(ﷺ) قال : قال رسول الله ( ﷺ ): " لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران وهكذا القرآن كله"[٦].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٥٣٩ رقم ٣٣٧٦).
تنبيه : جاء تسميتها بفسطاط القرآن مرفوعاً أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢/ ٢٢٦) وقال المناوي في التيسير (٢/ ٧٣) : " فيه وضاع" ، وحكم عليه اللباني في السلسلة الضعيفة (٨/ ٢١٤ رقم ٣٧٣) بالوضع.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٧٠٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢).

(٤) الإتقان للسيوطي (١/ ١٥٤).

(٥) وقد عدهما السيوطي في الإتقان (١/ ١٥٤) من أسمائها ، وظهر لي أنهما وصفان لا علمان ، ثم وجدت العلامة ابن عاشور في تفسيره (١/ ٢٠١) قد سبقنيٰ في ذلك في (سنام القرآن).

(٦) أخرجه ابن الضريس (١/ ٩٥ – الدر المنثور) والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٤٧ رقم ٥٧٥٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٧٢ رقم ٢٣٤٦) ، وابن مردويه (١/ ١٥٦ – ابن كثير ) من طريق عبيس ان ميمون عن موسىٰ بن أنس بن مالك عنه به .

قال الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤ هـ) : " هذا حديث غريب لا يصح رفعه" أهـ[١].

وَرَوَىٰ مَوْقُوفًا عَنِ ابْنِ عُمَرٍ ، قَالَ :( لَا تَقُولُوا : سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَلَكِنَّ قَوِّلُوا: السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةَ)[٢].

كَمَا تُقَدَّمُ وَسَيَأْتِي فِي فَضْلِهَا –، وَهُوَ الَّذِي عَلَيه الْجُمْهُورُ لِوُرُودِ النَّصِّ بِهِ[٣].

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحِيهِمَا عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ :" سُمِعْتِ الْحُجَّاجَ يَقُولُ عَلَىٰ الْمُنِيرِ السُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةَ وَالسُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلَ عُمْرَانٌ وَالسُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا النِّساءُ " قَالُ : فَذُكِرْتِ ذَلِكَ لإبراهيم فَقَالَ :" حُدِّثَنِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنٌ يَزِيدَ أَنَّه كَانَ مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ (ﷺ) حِينَ رَمَىٰ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ فَأَسْتُبْطِنَ الْوَادِي حَتَّىٰ إِذَا حاذىٰ بِالشَّجَرَةِ أُعْتُرِضَهَا فَرْمَي بِسَبْعِ حَصيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلُّ حَصَاةٍ ثَمَّ قَالِ :" مِنْ هَاهُنَا وَالَّذِي لَا إِلَهٌ غَيْرَه قَامَ الَّذِي أَنْزِلْتِ عَلَيه سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( ﷺ )"[٤].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : " ولم يقصد الأعمش الرواية عنه فلم يكن بأهل لذلك وإنما أراد أن يحكي القصة ويوضح خطأ الحجاج فيها بما ثبت عمن يرجع إليه في ذلك بخلاف الحجاج وكان لا يري إضافة السورة إلي الاسم فرد عليه إبراهيم النخعي بما رواه عن ابن مسعود من الجواز " أهـ[٥].

وقال الألباني : " في رد إبراهيم النخعي علىٰ الحجاج إشارة قوية إلىٰ أن المعروف

---

وإسناده منكر: فيه عبيس قال عنه البيهقي في الشعب (٤/ ١٧٢) : " **مُنْكِرُ الْحَدِيثِ ، وَهَوْ لا يُصَحِّحُ وَإِنَّمَا يَرْوِي فِيه عَنِ ابْنِ عُمَرٍ مِنْ قَوْلُهُ** " أهـ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ١٥٦) : " ضعيف الرواية ، لا يحتج به " أهـ.

وضعف إسناده السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٥) . وقال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٦٦٠٨): " منكر ".

(١) في التفسير (١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه البيقهي في شعب الإيمان (٤/ ١٧٣ رقم ٢٣٧٤). وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (١/ ٩٥).

(٣) انظر : لباب التأويل (١/ ١٨) ، روح المعاني (١/ ١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ٧٤١ رقم ١٧٥٠) ، ومسلم في الصحيح (٤/ ٧٨ رقم ٣١٩٢).

(٥) فتح الباري (٣/ ٧٤١).

عند الصحابة وتابعيهم خلاف ما قال الحجاج ، وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة من لفظ النبي تدل علىٰ الجواز[1].

وثبت عن عائشة – رضىٰ الله عنها – قالت : " **لَمَّا أَنْزِلْ الآيات مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا خَرَجَ النَّبِيُّ ( ﷺ ) إِلَىٰ الْمَسْجِدَ فَقَرَأَهُنَّ عَلَىٰ النَّاسِ ثُمَّ حُرِمَ تِجَارَةِ الْخَمْرِ** "[2].

قال الألوسي (ت١٢٧٠ هـ) : " يمكن أن يوفق بأنه كان مكروهـًا في بدء الإسلام ؛ لاستهزاء الكفار ثم بعد سطوع نوره نسخ النهي عنه فشاع من غير نكير وورد في الحديث بيانـًا لجوازه " أهـ[3].

وهذا التوجيه وجيه لو صح الدليل عليه لكن الدليل غير ثابت.

**عدد آياتها:**

اتفق علىٰ أن عدد آياتها مائتا آية وثمانون ، واختلف في القدر الزائد علىٰ الثمانين علىٰ ثلاثة أقوال:

١ – خمس . أو ٢ – ست . أو ٣- سبع .

قال أبو عمرو الداني (ت ١٥٤ هـ) : " لا نظير لها فىٰ عدد آياتها ! وكلهما ستة آلاف كلمة ومئة وإحدىٰ وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفـًا وخمس مئة حرف وهي مئتا آية وثمانون وخمس آيات في المدنيين والمكي والشامي وست في الكوفي وسبع في البصري.

اختلافها إحدي عشرة آية.

(الـم) عدها الكوفي ولـم يعدها الباقون.

(عَذَابٌ أَلِيمٌ) عدها الشامي ولـم يعدها الباقون.

(١) السلسة الضعيفة (١٤/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ١٢٤ رقم ٤٥٩).

(٣) روح المعاني (١/ ١٣٣).

(**مُصْلِحُونَ**) لم يعدها الشامي وعدها الباقون.

(**إِلاَّ خَائِفِينَ**) عدها البصري ولم يعدها الباقون.

(**يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**) لم يعدها المدني الأول والمكي وعدها الباقون.

(**مِنّ خَلَقَ**) الثاني لم يعدها المدني الأخير وعدها الباقون.

(**مَاذَا يُنفِقُونَ**) الثاني عدها المدني الأول والمكي ولم يعدها الباقون.

(**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**) الأول عدها المدني الأخير والكوفي والشامي ولم يعدها الباقون.

(**قَوْلاً مَّعْرُوفـًا**) عدها البصري ولم يعدها الباقون.

(**الحَيُّ القَيُّومُ**) عدها المدني الأخير والمكي والبصري ولم يعدها الباقون.

(**مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ**)عدها المدني الأول ولم يعدها الباقون " أهـ[1].

---

(١) البيان (١٤٠).

## المطلب الثالث:

## ما ورد في فضل سورة البقرة

إن تفضيل سورة من القرآن ثابت بالسنة ، وهو المعتمد من قول أهل العلم[1]، ولسورة البقرة فضائل كثيرة سأورد جملة منها فمن ذلك:

**١- إنها من السبع الطوال[2]:**

فعن عائشة أن النبي( ﷺ ) قال : "من أخذ السبع الأول فهو حبر[3]"[4].

وعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ( ﷺ ) قال: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل "[5].

---

(١) انظر لمعني تفضيل سورة من القرآن : كلام الحلمي في المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٤) ، ونقله السيوطي في الإتقان (٢/ ٤٤٠-٤٤١).

(٢) " السبع الطوال: البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، والنعام ، والأعراف ، ويونس " وقيل غير ذلك.
أنظر : فضائل القرآن لابن الضريس (١٨٩ ) ، الاتقان (١/ ١٧٨).
" والمئون : ما ولي البع الطوال : وسميت بذلك ؛ لأن كل سورة منها تزيد علىٰ مائة آية أو تقاويها.
والمثاني: ما ولي المئين ؛ لأنها ثنتها ، أي : كانت بعدها ، فهي لها ثوان.
والمفصل : ما ولي المثاني من قصار السور ، سمي بذلك ؛ لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة ، وقيل : لقلة المنسوخ منه : ولهذا يسمي بـ (المحكم ) أيضـاً ، واختلف في أول المفصل علىٰ اثني عشر قـولاً".
انظر : الاتقان (١/ ١٧٨ – ١٧٩).

(٣) حبر : بكسر الحاء أو فتحها العالم . انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ٣٢٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٧٢ رقم ٢٤٤٨٧) و(٦/ ٨٢ رقم ٢٤٥٧٥) والحاكم في المستدرك( ١/ ٥٦٤) من طرق عن عمرو بن أبي عمرو عن حبيب بن هذا الأسلمي عن عروة عنها به.
وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٨٥ رقم ٢٣٠٥) : " الحديث حسن أو قريب منه " أهـ.
وكذا قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٥) أخرجه الطيالسي في المسند (١٣٦ رقم ١٠١٢) وأحمد في المسند (٤/ ١٠٧) والمروزي في قيام الليل (١٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٧٥ رقم ١٨٦ ، ١٨٧). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٩ رقم ١٤٨٠).

**٢- أن سورة البقرة وآل عمران : (منيرتان لصاحبهما ، ظلتان يوم القيامة ، تحاجات عنه ، تقدمان القرآن وأهله) :**

عَنْ أَبِي أمامة الْباهِلِي قَالٌ : سَمِعَتْ رَسُولُ اللهِ ( ﷺ ) يَقُولُ : **اقرءوا الْقُرْآنَ فَإِنَّه يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقرءوا الزهراوين [١] الْبَقَرَةَ وَسُورَةً آلَ عُمْرَانٌ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غيايتان [٢] أَوْ كَأَنَّهُمَا فَرْقَانِ [٣] مِنْ طَيْرِ صَوَّافِ [٤] تُحَاجَّانٌ عَنْ أَصْحَابِهُمَا"** [٥].

وعن النواس بن سمعان قال سمعت النبي ( ﷺ ) يقول : " يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجات عن صاحبهما" [٦].

**٣- بركة لصاحبها ، ولا تقدر عليها السحرة:**

عَـنْ أَبِـي أمامـة الْبـاهِلِي قَـالٌ : سَـمِعَتْ رَسُـولُ اللهِ ( ﷺ ) يَقُـولُ : اقـرءوا سُورَةُ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةِ وَتَرْكُهَا حَسْرَةً وَلَا تَسْتَطِيعَهَا الْبَطَلَةَ " [٧][٨].

---

(١) الزهراوين : المنيرتان : ( ).

(٢) غيايتان – غمامتان : مثني ومفردها غياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة ، والغمامة السحابة. انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦٨٦ ، ٦٨٠) لسان العرب لابن منظور (١٥ / ١٤٣) (١٢/ ٤٤١).

(٣) فرقان: مثني ومفردها فِرقة – بالكسر – أي قطعتان . انظر : النهاية ڧ غريب الحديث لابن الأثير (٧٠٣) ، لسان العرب لابن منظور (٥/ ١٢٣).

(٤) صواف : جمع صافة ؛ أي باسطات أجنحتها في الطيران ، انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥٢٠).

(٥) تقدم في اسمها ص ١٢.

(٦) حزقان : مثني ومفردها حزقة ؛ أي الجماعة لانضمام بعضهم إلىٰ بعض ، انظر : النهاية لابن الأثير (٢٠٤).

(٧) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/ ٣٣١ رقم ١٨٧٣) من حديث النواس بن سمعان.

(٨) البطلة : السحرة ؛ يقال : أبطل إذا جاء بالباطل . النهاية في غريب الحديث (٨٠).

**٤- هي سنام القرآن وتطرد الشياطين من البيت الذي تقرأ فيه :**

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ( ﷺ ) قَالٍ :" لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرِ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُنَفِّرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَقْرَأُ فِيه سُورَةُ الْبَقَرَةِ "(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضىٰ الله عنه أن رسول الله ( ﷺ ) قال : " إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ خرج من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة"(٢).

**٥- عظم سورة البقرة لاشتمالها على آية الكرسي أعظم آي في القرآن ، وتحفظ قارئها :**

١ – عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ! قال: " يا أبا المنذر أتدري أي أية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال : فضرب في صدري وقال: " والله ليهنك العلم أبا المنذر"(٣).

٢–وفي قصة أبي هريرة (ﷺ) مع الشيطان قال له : " إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح " ، وقال النبي (ﷺ ): " صدقك وهو كذوب ذاك شيطان"(٤).

**٦- خواتيم سورة البقرة كفاية للإنسان من كل شيء :**

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ( ﷺ ):" مِنْ قَرَأَ بالآيتين مِنْ آخِرِ

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/ ٣١٠ رقم ١٨٢١).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٢ رقم ٢٣٧٧).
وحسن إسناده الألباني في السلسة الصحيحة (٢/ ٨٧ رقم ٥٨٨).
(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (١/ ٥٥٦ رقم ٨١٠).
(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٩/ ٦٧ رقم ٥٠١) معلقاً.
ووصله النسائي في السنن الكبري (٦/ ٢٣٨ رقم ١٠٧٩٥) وابن خزيمة في الصحيح (٤/ ٩١ رقم ٢٤٢٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٦ رقم ٣٣٨٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١/ ٢١ رقم ٣١٦٢).

سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ "[1].

وكفايتها عامة لكل شيء ؛ فقيل : أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً ، وقيل : كفتاه سوء وقيل : كفتاه شر الشيطان ، وقيل : دفعتا عنه شر الإنس والجن ، وقيل : معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء علىٰ الصحابة بجميل انقيادهم إلىٰ الله وابتهالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلىٰ مطلوبهم ، وقيل : من الآفات[2].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - : " يجوز أن يراد جميع ما تقدم والله أعلم"[3].

**٧- خواتيم سورة البقرة نور لم يؤت مثلها نبي قبل محمد :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : بَيْنَما جَبْرِي قَاعِدٍ عِنْدَ النَّبِيِّ(ﷺ) سُمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقَه ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ :" هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتْحُ الْيَوْم لَمْ يَفْتَحْ قَطُّ إلّا الْيَوْمُ فَنُزُلَّ مِنْه مِلْكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مِلْكُ نُزُلَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ :" أَبْشَرُ بِنُورَيْنِ أَوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيَّ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إلّا أَعْطِيَتَهُ "[4].

**٨- فضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل ونزول الملائكة لقراءتها :**

عَنْ أَسَيِّدَ بْنِ حُضير قَالَ : بَيْنَما هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٍ عِنْدَه إِذْ

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٩/ ٦٧ رقم ٥٠٠٩) ، ومسلم في الصحيح (٦/ ٣٣٢ رقم ١٨٧٥ – ١٨٧٩).

(٢) فتح الباري (٩/ ٦٨) . وانظر : المنهاج للنووي (٦/ ٣٣٣).

(٣) فتح الباري (٩/ ٦٨)

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/ ٣٣٢ رقم ١٨٧٤)؟

فائدة : قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٦٧): " خصت خواتيم سورة البقرة بلك : لما تضمنته من الثناء علىٰ النبي (ﷺ) ، وعلىٰ أصحابه ؛ بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناه، وابتهالهم إلىٰ الله عز وجل ، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم ؛ ولما حصل فيه من إجابة دعواتهم ، بعد أن علموها ، فخفف عنهم " أهـ.

جَالَتْ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ فَسَكَتْتِ ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ وَسُكِتَتِ الْفَرَسَ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا فَأُشْفِقُ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ حَتَّىٰ مَا يراها[1]، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَثُ النَّبِيِّ ( ﷺ ) قَالَ :" اقْرَأْ يا ابْنِ حُضير اقْرَأْ يا ابْنِ حُضير قَالٌ: فَأُشْفِقْتِ يا رَسُولُ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ ، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فَرُفِعْتِ رَأْسِي فَأَنْصُرِفْتِ إِلَيه ، فَرُفِعْتِ رَأْسَي إِلَىٰ السَّمَاءِ فَإِذَا مَثَّلَ الظُّلَّةُ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجْتِ حَتَّىٰ لَا أَرَّاهَا. قَالَ :" وَتَدْرِي مَا ذَاكَ ؟" قَالٌ : لَا ، قَالَ:" تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دُنْتِ لِصَوَّتَكَ وَلَوْ قَرَأْتِ لِأَصْبَحْتِ يَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيهَا لَا تَتَوَارَيْ مِنْهُمْ "[2].

## ٩- اشتمالها على اسم الله الأعظم[3]:

وقد ورد في ذلك عدة أحاديث:"

١- عن أبي أمامة يرفعه قال :" اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور

---

(١) هكذا مختصرا عند البخاري ؛ وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٦٣ رقم ٢٤) كاملاً ؛ وفيه: "فملا أجتره ، رفع رأسه إلىٰ السماء ، فإذا هو بمثل الظلة ، فيها أمثال المصابيح عرجت إلىٰ السماء حتىٰ ما يراها".

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٩/ ٧٧رقم ٥٠١٨) معلقـاً ، ومسلم في الصحيح (٦/ ٣٢٣ رقم ١٨٥٦).

فائدة : أورد البخاري هذا الحديث تحت باب : نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ؛ وعلق عليه الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (٩/ ٧٩) بقوله: " الحكم الذكور أعم من الدليل فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر وإلا لو كان علىٰ الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ .. ، وفيه منقبة لأسيد بن حضير وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل وفضل الخشوع فئ الصلاة وأن التشاغل بشيء بأمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح " أهـ.

ولعل البخاري استدل بظاهر الحديث علىٰ العموم ؛ لعدم تخصيص النبي ( ﷺ )، أسد بذلك الحكم. والله أعلم.

(٣) انظر : أقوال العلماء في اسم الله الأعظم : مشكل الآثار للطحاوي (١/ ١٦٠ – ١٦٧) ، زاد المعاد (١/ ٢٠٣) ، مجموع الفتاوي (١٨/ ٣١١) ، شرح العقيدة الواسطية (١٣٥) ، الأحاديث الواردة في اسم الله الأعظم (٤٧-٥٤).

ثلاث البقرة وآل عمران وطه"[1].

٢- عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول :" فیٰ هذين الآيتين (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) (و الـم اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) إن فيهما اسم الله الأعظم[2].

٣- عن أنس بن مالك رضیٰ الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالساً فیٰ الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد فتشهد ثم قال في دعائه : " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : " أتدرون بما دعا الله ؟ قال : فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعىٰ به أجاب وإذا سئل به أعطي " [3].

**١٠- أنها تاج لأصحابها في الجنة :**

عن عبد الرحمن بن الأسود قال : ( من قرأ سورة البقرة توج بها تاجاً فیٰ الجنة)[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن (٤/ ٢٧٦ رقم ٣٨٥٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٦٢ رقم ١٧٦ ، ١٧٧) ، والطبراني في المعجم اوسط (٨/ ١٩٢ رقم ٨٣٧١). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧١ رقم ٧٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٦١ رقم ٢٧٦٥٢) ، وأبو داود في السنن (٢/ ٨٠ رقم ١٤٩٦) ، والترمذي في جامعة (٥/ ٥١٧ رقم ٣٤٧٨) ، وابن ماجة في السنن (٤/ ٣٧٥ رقم ٣٨٥٥).
قال الترمذي : حديث حسن صحيح. وحسن لغيره الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥/ ٢٣٤ رقم ١٣٤٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٥٩٥ ) ، وأبو داود في السنن (١/ ٥٤٤ رقم ١٤٩٧) ، والنسائي في السنن (٥/ ٨١ رقم ١٢٨٣) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣ – ٥٠٤) عنه به . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد قوي. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٣٣ رقم ١٣٤٣).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (١٤/ ٤٤٤ رقم ٣٥٢٠ –المطالب العالي ) والدارمي في السنن (٤/ ٢١٢٧ رقم ٣٤٢١) وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل(٣٥٢ رقم ٢٩٢) وابن الضريس في فضائل القرآن (١٧٤ ) من طريقين عن زبيد عن عبد الرحمن بن السود". قال محقق سنن الدارمي : إسناده حسن.

## المطلب الرابع:

## مناسبة ترتيب سورة البقرة في القرآن

المعتمد من قول أهل العلم أن ترتيب سور القرآن توقيفي ، ولا شك أن لهذا الترتيب أسراراً وحكماً ، يوفق لها المشتغل بالكتاب العزيز إذا تلمسه ، وعلىٰ هذا الأساس قام علم المناسبات ، وهو علم شريف ، تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخذاً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حالة حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1]، قال الرازي (ت٦٠٦ هـ) : " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " أهـ.[2]

وفيما يلي بيان لأوجه المناسبات في ترتيب سورة البقرة في القرآن الكريم.

**١- مناسبة ذكر سورة البقرة بعد فاتحة الكتاب :**

تظهر مناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة من عدة وجوه:

**الأول** : أن سورة الفاتحة جامعة لكلية أمر الله سبحانه وتعالىٰ فيما يرجع إليه ، وفيما يرجع إلىٰ عبده ، وفيما بينه وبين عبده ، فجاء تفصيل ذلك في سورة البقرة [3]؛ فمثلاً قوله : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾[4] وما وقع فيها من الأمر بالذكر والثناء لله تعالىٰ تفصيله قوله تعالىٰ : ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[5].

وقوله : ﴿**رَبِّ العَالَمِينَ**﴾[6] تفصيله قوله تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ**

---

(١) انظر : البرهان للزركشي (١/ ٣٥) ، والإتقان للسيوطي (١/ ٣٠١).
(٢) مفاتيح الغيب (١٠/ ١١٠).
(٣) انظر : نظم الدرر (٢/ ٤ ، ٥) . وانظر : أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (١).
(٤) سورة الفاتحة (١).
(٥) سورة البقرة (١٥٢).
(٦) سورة الفاتحة (١).

**بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)**(1) وأشباهها ، وهكذا (2)، وحصل في سورة البقرة بأسرها بيان للصراط المستقيم علىٰ الاستيفاء والكمال وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه من اليهود والنصاري والمشركين وبيان أحوال بني إسرائيل من تنكبهم تحذيراً لطالبي الصراط المستقيم من حالهم(3).

قال العلامة الألوسي (١٢٧٠هـ): " وجه مناسبتها لسورة الفاتحة أن الفاتحة مشتملة علىٰ بيان الربوبية أولا والعبودية ثانيا وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثـًا، وكذا سورة البقرة مشتملة علىٰ بيان معرفة الرب أولاً كما في (**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**) وأمثاله ، وعلىٰ العبادات وما يتعلق بها ثانيـًا، وعلىٰ طلب ما يحتاج إليه في العاجل والآجل آخراً ، وأيضـًا في آخر الفاتحة طلب الهداية وفي أول البقرة إيماء إلىٰ ذلك بقوله : (**هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ**)(4)، ولما افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر وكان وراء كل ظاهر باطن افتتح هذه السورة بما بطن سره وخفي إلا علىٰ من شاء الله تعالىٰ أمره (ألم ) " (5)أهـ(6).

**الثاني: بين خاتمة الفاتحة وفاتحة البقرة وجه تناسب:**

قال أبو جعفر بن الزبير (ت٧٠٨ هـ) : " لما قال العبد بتوفيق ربه (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) قيل له : (**ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**)(7) هو مطلوبك وفيه أربك ، وهو الصراط المستقيم، (**هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ**) القائلين : (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) والخائفين

---

(١) سورة البقرة (٢١-٢٢).
(٢) انظر : أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (٢-٣).
(٣) انظر : البرهان في تناسب سور القرآن (٨٤ – ٨٩).
(٤) سورة البقرة (٣).
(٥) سورة البقرة (٢).
(٦) سورة البقرة (١).
(٧) روح المعاني (١/ ١٣٣).

من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين ، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقواه ، بامتثال أمره ونهيه " أهـ(١).

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) : " لما أرشد الله في الفاتحة إلىٰ طلب الهداية إلىٰ الصراط المستقيم دون طريق المغضوب عليهم والضالين ؛ افتتحت البقرة ببيان ذلك الطري وأنه القرآن بلا شك ؛ فقال : **(ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ)** (٢)، ولذلك وصفهم بنعمته عليهم بالتقوي ، والإيمان بالغيب ، وما بعده فهو كشرح الذين أنعمت عليهم وبيان له ، ولذلك قال: **(أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)**(٣)، ثم قسم الذين كفروا إلىٰ معاند ومنافق كما قسمه في الفاتحة إلىٰ مغضوب عليهم وضال بعد ذكر المنعم عليهم " أهـ(٤).

**الثالث: بين خاتمة الفاتحة وخاتمة البقرة وجه تناسب:**

فكما ختمت سورة الفاتحة بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالين إجمالاً، ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر ، وما لا طاقة لهم به تفصيلاً ، وتضمن آخرها أيضـًا الإشارة إلىٰ طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله: **(نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)**(٥).

فتآخت السورتان وتشابهتا في المقطع ، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق وقد ورد في الحديث التأمين في آخر سورة البقرة كما هو مشروع في آخر

---

(١) سورة البقرة (٢).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (٨٤).

(٣) سورة البقرة (٢)

(٤) تناسق الدرر (ورقة ٢ – مخطوط). وانظر : أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (٢) نقل عن الخوبي : " ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة : فذكر الذين علىٰ هدي من ربهم ، وهم المنعم عليهم والذين اشتروا الضلالة بالهدي ، وهم الضالون : والذين .. الله وهم المغضوب عليهم " أهـ ونظم الدرر (٢/ ٤).

(٥) سورة البقرة (٢٨٥).

الفاتحة[1].

**٢- مناسبة ذكر سورة البقرة قبل سورة آل عمران:**

تظهر مناسبة سورة البقرة لسور الفاتحة من عدة وجوه:

**الأول**: لاقترانهما في الفضل: قال السيوطي (ت ٩١١ هـ): " لما وردت الأحاديث في فضائل البقرة وآل عمران مقترنتين قرنت بها[2].

**الثاني**: أن سورة البقرة أطول سورة في السبع الطوال فناسب البدء بأطوالها[3].

**الثالث**: أن سورة البقرة أول سورة مدنية فناسب البداءة بها، فإن للأولية نوعـًا من الأولوية[4].

**الرابع**: أن بين السورتين اتحاداً وتلاحمـًا، فسورة البقرة تضمنت قواعد الدين مفصلة لسورة الفاتحة – كما تقدم[5]– ، فجاءت سورة آل عمران مكملة لمقصودها، فكانت البقرة بمنزلة إقامة الدليل، وآل عمران بمنزلة الجواب على شبهات الخصوم، ولها ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصاري؛ وتكرر في السورتين ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب (الصراط المستقيم): من إنزال الكتاب، وتصديقه للكتب قبله، والهدي إلى الصراط المستقيم، وتكررت آية (**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ**) بكمالها وذكر في آل عمران ما هو تال لما ذكر في البقرة، أو لازم له، ومن ذلك

- أوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع، وأمر باتمامه بعد الشروع فيه.
- ذكر في سورة البقرة خلق الناس، وفي سورة آل عمران تصويرهم في الأرحام.

---

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن (٨٨-٨٩)، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (٤).
(٢) تاسق الدرر (ورقة ٢- مخطوط).
(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (٤).
(٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (٤).
(٥) ......ص(١٢).

- وذكر في سورة البقرة مبدأ خلق أدم ، وفي آلم عمران مبدأ خلق أولاده.
- وقد وردت أنه لما نزلت : " **(مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا)** " قال اليهود : يا محمد افتقر ربك ، فسأل القرض عباده ، فنزل قوله : " **(لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)** " فذلك أيضًا من تلازم السورتين.
- ووقع في البقرة حكاية عن إبراهيم " **(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ)** " ونزل في هذه : " **(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ)** " وذلك أيضًا من تلازم السورتين.
- وألطف من ذلك كله : أنه افتتح البقرة بقصة آدم عليه السلام حيث خلقه من غير أب ولا أم ، وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب ، وهو عيسي عليه السلام ، ولذلك ضرب له المثل بآدم ، واختصت البقرة بآدم ، لأنها أول السور ، وأدم أول في الوجود وسابق ، ولأنهما الأصل ، وهذا كالفرع والتتمة لها ، فمختصة بالإعراب والبيان ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا ، وأنكروا وجود ولد بلا أب ، ففوتحوا بقصة آدم ، لتثبت في إذانهم ، فلا تأتي قصة عيسي إلا وقد ذكر عندهم ما يشبهها من جنسها ، ولأن قصة عيسي قيست على قصة آدم في قوله : " **(كَمَثَلِ آدَمَ)** " الآية ، والمقيس عليه لابد وأن يكون معلومًا ، لتتم الحجة بالقياس ، فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيها جدية بالتقدم[1].
- وكان خطاب النصاري في آل عمران فإن ثمانين آية من أولها في وفد نصاري

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٤٦٠) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ١٢ رقم ١٠٩ ) عن أبن عباس. وقوة الحافظ في العجاب (٢/ ٨٠٤) وحسن اسناده مؤلفا كتاب الاستيعا في بيان الأسباب (١/ ٣٤١)

نجران ، وختمت بقوله " ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ " وهي في المجاشي وأصحابه من مؤمني النصاري ، وخطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها ، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم لما هاجر إلىٰ المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصاري في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ؛ فكأنه سبحانه لما ذكر في الفاتحة الفريقين – اليهود والنصاري – قص في كل سورة مما بعدها حال كل فريق علىٰ الترتيب الواقع فيها[1].

**الخامس : بين خاتمة البقرة وفاتحة آل عمران وجه تناسب:**

قال السيوطي (ت٩١١ هـ) – رحمه الله – : " لما اختتمت البقرة بقوله : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلىٰ قوله : ﴿وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ناسب ذلك ذكر الكتب المنزلة التي يجب الإيمان بها فقال : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (*) مِن قَبْلُ هُدًىٰ لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الفُرْقَانَ﴾ ، وتضمن ذكر إنزالها ذكر النازلين بها وهم الملائكة ، والمنزل عليهم وهم الرسل ؛ فطابق ذلك قوله : ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ وقال بعد ذلك : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ؛ لتطابق المفهوم من قوله : ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ كما فعله نصاري نجران الذين نزل فيهم الآيات ؛ آمنوا بالمسيح وموسىٰ وكفروا بمحمد ( ﷺ )، قال المؤمنون : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وأتبع وقد نجران ما شابه بقوله : (حلفنا ونزلنا) ونحوه ، وليعود ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ علىٰ قوله : ﴿فَانصُرْنَا عَلَىٰ القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ " أهـ[2].

وقال البقاعيٰ (ت ٨٥٥ هـ) – رحمه الله – : " ختم البقرة بالإخبار عن خلص عباده بالإيمان بالمنزل بالسمع والطاعة ، وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلىٰ المنزل

---

(١) انظر : البرهان في تناسب سور القرآن (٨٩) ، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (١، ٣، ٤–) روح المعاني (٣/ ٩٨–٩٩). نقلاً عن السيوطي.

(٢) تناسق الدرر (ورقة ٣– مخطوط).

له أن له سبحانه وتعالي كل شيء وبيده النصر ، علم أنه واحد لا شريك له حي لا يموت قيوم لا يغفل وأن ما أنزل هو الحق ، فصرح أول هذه[1] بما أفهمه آخر تلك[2]، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها فقال : (**اللهُ**) أي الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه لأن له الإحاطة بجميع أوصاف الكمال والنزاهة الكاملة من كل شائبة نقص " أ هـ[3].

**السادس : بين فاتحة البقرة وخاتمة آل عمران:**

ومن وجوه تلازم السورتين:

١- سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين ، وأنهم المفلحون وختمت آل عمران بقوله: (**وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) وافتتحت البقرة بقوله : (**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**) وختمت آل عمران بقوله : (**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ**).

٢- ذكر في البقرة في صفة النار : (**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**) ، ولم يقل في الجنة : أعدت للمتقين ، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معا ، وقال ذلك فى آخر آل عمران في قوله : (**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**) فكان السورتين بمنزلة سورة واحدة وبذلك يعرف أن تقديم آل عمران علىٰ النساء أنسب من تقديم النساء عليها[4].

**السابع : بين فاتحة البقرة وفاتحة آل عمران وجه تناسب:**

أنه تعالىٰ لما بين في سورة البقرة أن الكتاب هدىً للمتقين بين في صدر آل عمران أن من شأن الكتاب ؛ محكم ومتشابه ، وحال أهل التوفيق طالبي الهداية إلىٰ

---

(١) أي سورة آل عمران.

(٢) أي سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٢/ ٤).

(٤) أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي (٥): روح المعاني (٣/ ٩٨-٩٩) نقلاً عن السوطي.

الصراط المستقيم تحكيم محكمة ، وحال أهل الزيغ والضلال (**الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**) إتباع المتشابه والتعلق به[1].

**الثامن : بين خاتمة البقرة وخاتمة آل عمران وجه تناسب:**

ومن أوجه التلاحم بين السورتين ؛ فكما ختمت سورة البقرة بالدعاء بعدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان ، وحمل الإصر ، وما لا طاقه لهم به ، كذلك ختمت سورة آل عمران بالدعاء بالفوز بالجنة والنجاة من النار وهي ثمرة سؤال الهداية – التي في خاتمة سورة الفاتحة – وسؤال مغفرة الذنوب وعدم المؤاخذة علىٰ الخطأ والنسيان – الذي في خاتمة سورة البقرة –

وأيضاً من المناسبة ختم آل عمران بالأمر بالصبر والمصابرة علىٰ الخير والطاعة والله أعلم.

(١) انظر : البرهان في تناسب سور القرآن (٨٩– ٩٠).

## المطلب الخامس:

## مقاصد السورة

### أهم مقاصد السورة:

سورة البقرة تهدف لمعالجة العديد من القضايا شأنها شأن أي سورة قرآنية، ومن هذه القضايا التي عالجتها هذه السورة الكريمة:

١- لما كانت سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة ؛ في أول عهد إقامة دولة الإسلام واستقلالها ؛ كان من أول أغراضها كما يقول العلامة ابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) : " تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل " أ هـ[١].

وذلك من جهتين[٢]:

أ - أقتضىٰ جوار المسلمين في المدينة لأهل الكتاب بعد أن كان جوارهم للمشركين في مكة؛ توجيه الدعوة إلىٰ بني إسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة المحمدية من تشكيكات وشبه ؛ وذلك بتذكيرهم بنعم الله علىٰ أسلافهم حينما ارتكبوا صنوف العناد والتكذيب لأنبيائهم – عليهم السلام - ؛ ومن ذلك قوله تعالىٰ : **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)** إلىٰ قوله : **(لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ)**[٣].

ب – إقامة الدولة الإسلامية في المدينة اقتضي ؛ نزول التشريع لتكون الجامعة

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٠٢).

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتون (٥١ – ٥٢).

(٣) سورة البقرة (٤٠ – ١٧٧).

الإسلامية متميزة عن غيرها في عبادتها وعاداتها ؛ ومن ذلك : أحكام القصاص ، والقتل العمد ، والصيام ، والوصية ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والأهلة ، والحج والعمرة ، والخمر والميسر واليتامي والنفقة ، ومصاهرة المشركين ، والحيض والطلاق ، والرضاع ، والإنفاق في سبيل الله والرباء والاستيثاق في الديون.

٢- وبذلك ختمت السورة بقوله تعالىٰ : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) [١]؛ فينتفع المسلمون الذين يهتدون بالكتاب في معاملة من يخالطون من أهل الملل ، وفي تنظيم أحوالهم من عبادة ومعاملة[٢].

٣- ختمت السورة بتعليم المسلمين دعاء من شأنه أن يغرس في نفوسهم سنة الله في التشريع لهم ، وبناء أحكامه وتكاليفه علىٰ اليسر والوسع ودفع الحرج[٣].

٤- إثبات سمو هذا الدين علىٰ ما سبقه ، وكمال هديه ، فقد حوت أصل العقدية، وأدله التوحيد ، ومبدأ خلق الإنسان ، والمعادة للجزاء [٤]، قال البقاعي (ت ٨٥٥ هـ) – رحمه الله – : " مقصودها إقامة الدليل علىٰ أن الكتاب هدىً ليتبع يفي كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب ، ومجمعه الإيمان بالآخرة ، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مجارها الإيمان بالغيب فلذلك سميت بها السورة " أ هـ[٥].

---

(١) سورة البقرة (٢٨٥).
(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٥٢).
(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٥٢).
(٤) انظر : التحرير والتنوير (١/ ٢٠٣) ، تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٥٠).
(٥) نظم الدرر (١/ ٢٤).

# المبحث الثاني

## تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة تحليل ومقارنة

**وتحته تمهيد وأربعة مطالب:**

**التمهيد : روافد آية الرضاعة:**

**المطلب الأول** : القول في تأويل قوله تعالىٰ :

**﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾**

**المطلب الثاني**: القول في تأويل قوله تعالىٰ:

**﴿وَعَلَىٰ المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾.**

**المطلب الثالث**: القول في تأويل قوله :

**﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**

**المطلب الرابع**: القول في تأويل قوله تعالىٰ:

**﴿وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.**

## قال تعالى :

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

## التمهيد:

# روافد آية الرضاعة[1]

### أولاً: وجه مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

١ - مناسبة الآية لما قبلها:

قال الإمام القرطبي ( ت ٦٦٨هـ) – رحمه الله - : " لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق: ذكر الولد ؛ لأن الزوجين قد يفترقان وثم ولد ، فالآية إذاً في المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن " أ هـ[2].

وهذه المناسبة على القول بأن الآية بالمطلقات:

وقال الإمام البقاعي (ت ٨٥٥ هـ) – رحمه الله – : " لما كان النكاح قد يكون عنه ولادة فيكون عنها رضاع وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون أجنبية والزوجة قد تكون متصلة وقد تكون منفصلة وكان الفراق بالطلاق أكثر منه بالموت وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة لإدلاله إلى كل بسبب واهتماماً بشأنه وحثاً على الشفقة على السفير وشدة العناية بأمره لأن الأم ربما كانت مطلقة فاستهانت بالولد إيذاء للزوج إن كن الطلاق عن شقاق أو رغبة في زوج آخر ، وكذا الأب فقال تعالى عاطفاً على ما تقديره مثلاً : فالنساء لهن أحكام كثيرة وقد علمتم منها هنا أصولاً تفهم من بصره الله كثيراً من الروع ، والمطلقات إن لم يكن بينكم وبينهن علقة بولادة أو نحوها فلا سبيل لكم عليهن " أ هـ[3].

---

(١) (رفد) الراء والفاء والدال أصل واحد مطرح منقاس ، وهو المعاونة والمظاهرة بالغطاء وغيره ، فارفد مصدر رفده برفده إذاً.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٠٦) . وانظر : التحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ٤٢٩).

أعطاء : والاسم الرفد : والرافد : المعين . انظر : معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٢١).

والمعني : أن هذه العلوم من (اللغة ، والإعراب ، والقراءات ، والناسخ والمنسوخ ) من العلوم المعينة لتفسير الآية).

(٣) نظم الدرر (١/ ٤٣٨ – ٤٣٩) وانظر البحر المحيط (٢/ ٢٢٢).

**٢- مناسبة الآية لما بعدها :**

قال البقاعي (ت٨٥٥ هـ) – رحمه الله – : " لما ذكر الرضاع وكان من تقاديره ما إذا مات الأب ذكر عدة الوفاة لذلك وتتميماً لأنواع العدد " أ هـ(١).

**ثانياً : المفردات اللغوية :**

قوله : (**وَالْوَالِدَاتُ**) : (ولد) الواو واللام والدال: أصل صحيح ، وهو دليل النحل والنسل، ثم يقاس عليه غيره. من ذلك الولد، وهو للواحد والجميع، وتولد الشيء عن الشيء: حصل عنه بسبب من الأسباب(٢).

والوالدات: جمع والدة بالتاء؛ الأم، وأطلق على الأب والد، ولذلك قيل فيه وفي الأم الوالدان فجاءت التاء في الوالدة للفرق بين المذكر والمؤنث ، وكأنه روعي في الإطلاق أنهما أصلان للولد ، فأطلق عليهما : والدان(٣).

قوله : (**يُرْضِعْنَ**)(رضع ) الراء والضاد والعين أصل واحد ، وهو شرب اللبن من الضرع أو الثدي(٤).

والرضاعة: مصدر (رضع ) يقال : رضاع ورضاع ، ورضاعة ورضاعة؛ لغتان، وهي الاسم من الإرضاع(٥)، والقراءة بالفتح لا غير(٦).

و (تَسْتَرْضِعُوا): استفعل للطلب أي : طلبت من المرأة إرضاع الولد (٧)، والمعني : تسموهن إرضاع أولادكم(٨)، أي تطلبوا مرضعة لأولادكم(٩).

---

(١) نظم الدرر (١/ ٤٤٢).
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٤٣).
(٣) انظر : مفردات الراغب (٨٨٣) ، البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٢٢).
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٠٠).
(٥) انظر : الصحاح في اللغة الجوهري (١/ ٢٥٦) ، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٨٠).
(٦) جامع البيان للطبري (٤/ ٢١٠).
(٧) مفردات الراغب (٣٥٦).
(٨) البحر المحيط (١/ ٢٢٨) . وانظر : لسان العرب (٣/ ٨٠).
(٩) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٨٠).

قوله: (**حَوْلَيْنِ**) : مفردها (حول) الحاء والواو واللام أصل واحد ، وهو تحرك في دور [١]، وأصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره[٢]، فالحول العام بأسره ؛ باعتبار انقلابه ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها ؛ وذلك أنه يحول، أي يدور ، فسمي العام حولاً لانقلابه من وقت لوقت آخر ، ولاستحالة الأمور فيه في الأغلب[٣].

قوله: (**لاَ تُكَلَّفُ**): التكليف من (كلف) الكاف واللام والفاء أصل صحيح يدل علىٰ إبلاغ بالشيء وتعلق به. ويقولون : " لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفاً" والكلفة : ما يكلف من نائبة أو حق . وكلف الشيء : ما يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناله في تعاطيه ، وصارت الكلفة في التعارف اسماً للمشقة ، والتكلف: اسم لما يفعل بمشقة ، أو تصنع ، أو تشبع[٤].

قوله : (**فِصَالاً**) مصدر (فصل) ؛ الفاء والصاء واللام كلمة صحيحة تدل علىٰ تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه [٥]، حتىٰ يكون بينهما فرجة [٦]، وفصلت الشيء فانفصل : أي قطعته فانقطع، وفصلت الرضيع عن أمه فصلاً وفصالاً وافتصلته ، إذا فطمته ، والفصال : الفطام ؛ أي قطع الولد عن الرضاع والتفريق بينه وبين الرضاع[٧]؛ قال الجوهري : " فطام الصبي فصاله عن أمه ، والصبي فطيم"[٨].

قوله: (**وَتَشَاوُرٍ**) مصدر قياسي لـ (تشاور) ، علىٰ وزن تفاعل بضم العين[٩].

وأصله (شور) الشين والواو والراء ؛ أصلان مطردان:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢١).
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢١).
(٣) انظر : لسان العرب (٢/ ١٨٨) ، المحرر الوجيز (٢/ ٢٩٢) ، جامع الأحكام للقرطبي (٤/ ١٠٨).
(٤) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٣٦) ، مفردات الراغب (٧٢١).
(٥) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٥).
(٦) مفردات الراغب (٦٣٨).
(٧) انظر : الصحاح للجوهري (٢/ ٤٥) ، لسان العرب (٥/ ١٣٤).
(٨) الصحاح للجوهري (٢/ ٤٧).
(٩) الجدول في إعراب القرآن (٢/ ٤٩٣).

**الأول** منهما : إبداء شيء وإظهاره وعرضه ، ك: شرت الدابة شوراً ، إذا عرضتها .
**والأخر** : أخذ شيء : كـ : شرت العسل [1]؛ أي أخذته وأخرجته من موضعه[2].
وشاوره في الأمر واستشاره : طلب منه المشورة.
والمشورة ، والمشورة ؛ لغتان . وهي : استخراج الرأي بمراجعة البعض إلىٰ البعض ، فكان المستشير يأخذ الرأي ويستخرجه من غيره.
والمشورة مفعلة أشتق من الإشارة ؛ أشار إليه باليد أومأ ، وأشار عليه بالرأىٰ إذا ما وجه الرأي[3].
قال ابن عاشور : " أيًا ما كان اشتقاقها فمعناها إبداء الرأي في عمل يريد أن يعمله من يشاور " أ هـ[4]. وهو إخراج ما في النفس وإظهاره ؛ باستجماع الآراء فيما فيه المصلحة.
و(تشاور) علىٰ وزن تفاعل؛ علىٰ الأكثر من معانيه : كونه واقعًا من اثنين[5].

**ثالثاً : الإعراب[6] :**

قوله : **(حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)** حولين ظرف ، وكاملين صفة له.
**(لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)** المصدر المؤول (أن يتم ) مفعول لأراد وتقديره لمن أراد إتمام الرضاعة.
**(مَنْ)** اسم موصول بمعني الذي.
وجملة **(أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)** صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٦).
(٢) مفردات الراغب (٤٦٩ ) . وانظر لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩٠).
(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٢٦) ، مفردات الراغب (٤٧٠) ، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩١) .
(٤) التحرير والتنوير (٢/ ٤٣٨) بتصرف.
(٥) انظر : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٢٨) ، تفسير القرطبي (٤/ ١٢٣).
(٦) انظر : الدر المصون للسمين (٢/ ٤٦٢ – ٤٧٦) ، الجدول في إعراب القرآن (٢/ ٢٨٨ – ٤٩٢).

(**رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف**) بالمعروف جار ومجرور متعلق برزقهن.

(**لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا**) لا نافية تكلف مضارع مبني للمجهول ووسع مفعول به.

وجملة (**لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ** ) تعليلية لا محل لها من الإعراب.

( **لاَ تُضَارَّ** ) لا ناهية تضار مضارع مجزوم وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين بسبب التضعيف.

(**بِوَلَدِهَا**) جار ومجرور متعلق بـ ( **لاَ تُضَارَّ** ) والباء سببية.

و(**أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا**) المصدر المؤول في محل نصب مفعول به تقديره أردتم استرضاع.

وجملة ( **فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** ) مقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط لقوله (فإن أرادا).

( **مَّا** ) اسم موصول بمعني الذي.

وجملة ( **تَعْمَلُونَ** ) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

وجملة ( **وَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ** ) استئنافية وجملة ( **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ** ) معطوفة عليها . وجملة ( **لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ** ) استئنافية . وكلها لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جمل استئنافية.

وللنحويين في قوله: ( **تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ** ) قولان:

أحدهما : (استرضع) متعد لمفعولين بنفسه ، وحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، والتقدير : أن تسترضعوا المراضع أولادكم.

وذلك مثل قولك : استنجحته الحاجة ، استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول.

وهذا رأي الزمخشري[1].

---

(١) الكشاف (١/ ٤٥٧) . وانظر : لسان العرب (٣/ ٨٠) نسبه ابن منظور إلى ابن بري ، ونقل حكاية الحوفي له في البرهان.

وتعقبه السمين الحلبي (ت٧٥٩ هـ) بقوله : " التعدية بالسين قول مرغوب عنه . والسين للطب علىٰ بابها ، وقد جاء استفعل للطلب وهو معدي إلىٰ الثاني بحرف جر وإن كان (افعل) الذئ هو أصله متعدياً لاقتين نحو : (افهمني زبد المسألة ، واستفهمته عنها ) ، ويجوز حذف (عن)" أهـ[1].

والثاني : (استرضع ) أنه يتعدي إلىٰ مفعولين ثانيهما بحرف الجر ، والتقدير : أن تسترضعوا المراضع لأولادكم ، فحذف المفعول الأول وحرف الجر من الثاني ، فهو نظير (أمرت الخير) ، ذكرت المأمور به لوم تذكر المأمور ، لأن الثاني منهما غير الأول ، وكل مفعولين كانا كذلك فأنت فيهما بالخيار بين ذكرهما وحذفيهما وذكر الأول ، دون الثاني والعكس . وهذا قول الجمهور[2].

**رابعاً : القراءات وتوجيهها :**

اختلفت القراء فى قراءة عدة مواضع من هذه الآية

**الأول : ( لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ )"** [3].

١- ( أن يتم الرضاعة ) : بالياء المضمومة في (يتم) وإهمال أن الناصبة ، من: أتم ، ونصب الرضاعة مفعولاً به ، وهي قراءة الجمهور عاملة الكوقيون أهل المدين والعراق والشام بمعني ، لمن أراد من الآباء والأمهات ان يتم رضاع ولده.

٢- (أن تتم الرضاعة) : بالتاء المفتوحة في تتم ، من ، ورفع الرضاعة بصفتها (فاعلاً) ، وهي قراءة بعض أهل الحجاز ، قرأ بمها مجاهد ، والحسن ،

---

(١) الدر المصون (٢/ ٤٧٣) وقال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٨٠): المحذوف علىٰ الحقيقة المفعول الأول لأن المرضعة هي الفاعلة بالولد ومنه : فلان المسترضع في بني تميم " أ هـ.

(٢) انظر : لسان العرب لأبن منظور (٣/ ٨٠ ) البحر المحيط (٢/ ٢٢٣) الدر المصمون (٢/ ٤٦٣) .

(٣) انظر : جامع البينات (٤/ ٢١٠) زاد المسير (١٤٢) البحر المحيط (٢/ ٢٢٣) الدر المصون (٢/ ٤٦٣) تنبيه : ولم أقف علىٰ هذه الأوجه من القراءة في كتب القراءات العشر المتواترة ولا كتابي : المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه أو المحتسب لابن حني.

وحميد ، وابن محيص ، وأبو رجاء.

قال ابن جرير الطبري (ت ٣١٢٠ هـ) – رحمه الله – : والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ بالياء في يتم ونصب الرضاعة ، لأن الله تعالى ذكر قال : " (  ) " فكلك هن يتممنها إذا أردن هن والمولود له إتمامها ، وإنها القراءة التي جاء بها النقل المستفيض الذي ثبتت به الحجة دون القراءة الأخرى" هـ[1].

**( الرَّضَاعَةَ )**[2]:

١- (الرضاعة) : بفتح الراء ، وهي قراءة أكثر القراء.

٢- (الرضاعة) : بكسر الراء ، قرأ بها طلحة بن مصرف ، أبو حنيفة ، وابن أبي عبلة ، والجارود بن أبي سبرة وهي لغة : كالحضارة والحضارة.

قال ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : " قد حكي في الرضاعة سماعاً من العرب كسر الراء التي فيها ، وإن تكن صحيحة فهي نظيرة الوكالة والوكالة ، والدلالة والدلالة ، ومهرت الشيء مهارة ومهارة ، فيجوز حينئذ الرضاع والرضاع، كما قيل الحصاد والحصاد ، وأما القراءة فبالفتح لا غير " أهـ[3].

**الثاني : ( وَكِسْوَتُهُنَّ )**[4]:

١- (كسوتهن ) : بضم الكاف ؛ قرأ بها طلحة.

٢- (كسوتهن): بكسر الكاف ؛ وهما لغتان كسوة وسورة.

**الثالث : ( لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا )** [5]:

---

(١) انظر : زاد المسير (١٤٢) ، البحر المحيط (٢/ ٢٢٣).
وقراءة الكسر شاذة : انظر : القراءات الشاذة لابن خالوية ( ٢٢).

(٢)جامع البيان (٤/ ٢١٠)

(٣) جامع البيان (٤/ ٢١٠-٢١١).

(٤) البحر المحيط (٢/ ٢٢٥) . وانظر الدر المصون(٢/ ٤٦٥).
وقراءة الضم شاذة : انظر : القراءات الشاذة لابن خالوية (٢٢).

(٥) البحر المحيط (٢/ ٢٢٥) . وانظر : الدر المصون (٢/ ٤٦٦) ، الكشاف (١/ ٤٥٦).

١ - (لا تكلف نفس ): مبني للمفعول ، و(نفس) قام مقام الفاعل وهو الله تعالىٰ ، وحذف للعلم به . وهي قراءة الجمهور.

٢ - (لا تكلف) : بفتح التاء ، قرأ بها أبو رجاء ، أي : لا تتكلف ، وحذفت إحدىٰ التاءين علىٰ خلاف بين النحويين في ذلك ، وارتفع نفس علىٰ الفاعلية.

**الرابع: (لاَ تُضَارَّ) :**

١ - (لا تضار) : برفع الراء المشددة ، قرأ ابن كثير ، والبصريان (أبو عمرو وأبان عن عاصم ، ورواه عبد الحميد بن بكار بإسناده عن ابن عامر)[(١)].

٢ - (لا تضار) بفتح الراء مشددة ، قرأ بها الباقون (نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكساني ، ووريت عن أبي جعفر)، والمعروف عن أهل الشام النصب[(٢)]

توجيه القراءتين[(٣)].

قراءة الرفع علىٰ أنه خبر بمعني الأمر ، و (لا ) نافية ، فإن النفي خبر ، والخبر قد يأتي فىٰ موضع الأمر ، نحو قوله:

" ( **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ** ) " أي : ليتربصن ، وهي مناسبة لما قبلها من قوله " (**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ) " لاشتراك الجملتين في الرفع ، وإن اختلف معناهما، لأن الأولي خبرية لفظا ومعني ، هذه خبرية لفظا إنشائية (نهي) في المعني

وقراءة النصب : علىٰ أنه نهي علىٰ ظاهر الخطاب ، فهو مجزوم والأصل فيه (لا =

---

تنبيه: ولم أقف علىٰ هذه الأوجه من القراءة في كتب القراءات العشر المتوترة ولا كتابي : المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه أو المحتسب لابن جني.

(١) انظر : السبعة في القراءات (١٨٣) ، التيسير في القراءات السبع (٦٤) ، النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر : السيعة في القراءات (١٨٣) ، التيسير في القراءات السبع (٦٤) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر : الجه في القراءات السبع (٩٧) ، الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٩٦) ، البحر المحيط (١/ ٢٢٥) ، الدر المصون (٢/ ٤٦٧).

تضارر) فسكنت الراء الأخيرة للجزم ، وسكنت الراء الأولي للإدغام.

وفالتقي ساكنان ، فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التي قبل الراء، لتجانس الألف والفتحة ، ويقوي هذه القراءة أن ما بعده أمر في قوله " (**وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ**) ".

وعلىٰ هاتين القراءتين يحمل أن يكون الفعل مبينا للفاعل ، ويحتمل ان يكون مبنيا للمفعول ، ويكون ارتفاع " (ولده) " و " (مولود ) " : علىٰ الفاعلية لأن قدر الفعل مبنيا للفاعل ، والمفعول محذوف تقديره : لا تضارر والده زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر ، ولا يضارر مولود له زوجته بمعنها ما وجب لها من رزق وكسوة ، وأخذ ولدها مع إثارها إرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر الضرر وعلىٰ المفعولية إن قدر الفعل مبنيا للمفعول ، ولم سيم فاعلها ، والمعني ، لا تمتع من ولدها فئ ال ضاع نوهي تأخذ مثل ما تأخذ غيرها ، ولا تمنع ، نفقته ، وكذا " (ولا مولو له) " وكلا القراءتين الأولي والثانية محتملة قال الإمام ابن جرير الطبر ي(ت ٣١٠ هـ) : أولي القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من ثرا بالنصب ، لأنه نهي من الله تعالىٰ ذكره كل واحد من أبوي المولود عن مضارة صاحبه له حرام عليهما ذلك بإجماع المسلمين ، فلو كان ذلك خبراً لكان حرماً عليهما ضرارهما به كذلك " هـ(١).

والفعل لا يكون إلا مبنيا للمفعول ، ليكون موافقا لمعني الآية كما جاء عن السلف(٢).

وورد فيها قراءات أخر غير القراءات العشر المتواترة(٣):

٣- ( لا يُضَار) بالسكر المشدد علىٰ النهي (٤).

---

(١) جامع البيان (٤/ ٢١٥).

(٢) انظر : جامع البيان (٤/ ٢١٩-٢٢٠).

(٣) تنبيه : لم أقف علىٰ هذه الأوجه من القراءة في كتب القراءات العشر المتواترة ولا كتابي : المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه أو المحتسب لابن جني ، إلا ما أشرت عليه عندها.

(٤) البحر المحيط (١/ ٢٢٥). وانظر : الدر المصون (٢/ ٤٦٧) ، الكشاف (١/ ٤٥٦).

٤- ( لا تُضارْ): بالسكون مع التشديد وهي قراءة أبي جعفر الصفار ، أجرىٰ الوصل مجرىٰ الوقف[١].

٥- (لا تُضارْ ) : بإسكان الراء وتخفيفها ، وهي قراءة الأعرجح – ورويت عن أبي جعفر [٢]– من ضار يضر ، وتسكين الراء من فتح أو رفع وهو **الأولي** – كقراءة ابن كثير وغيرها فيما تقدم – ، وأجري الوصل فيه مجرىٰ الوقف[٣].

قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : " اختلس الضمة فظنه الراوي سكونـًا"[٤].

ورده أبو حيان وكذا السمين الحلبي [٥]؛ قال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) : " هذا علىٰ عادته في تغليط القراء وتوهيمهم ، ولا نذهب إلىٰ ذلك ، ووجه هذه القراءة بعضهم بأن قال : حذف الراء الثانية فراراً من التشديد في الحرف المكرر، وهو الراء ، وجاز أن يجمع بين الساكنين : إما لأنه أجري الوصل مجري الوقف، ولأن مدة الألف تجري الحركة " أهـ[٦].

وأما قراءة الكسر فهي علىٰ النهي – كما في قراءة النصب – ولم يراع فيها الألف ، والفعل مبنيـًا للفاعل ، و(والده) فاعل).

وهذه قد ردها الإمام الطبري – رحمه اله – لمخالفتها معنىٰ تأويل الآية الذي عليه سلف الأمة[٧].

٦- (لا تضارر) : بفك الإدغام وكسر الراء الأول وسكون الثانية ، رويت عن

(١) البحر المحيط (١/ ٢٢٥). وانظر : المحتسب في القراءات الشاذة لابن جنىٰ (١/ ١٢٥) ، الدر المصون (٢/ ٤٦٧) ، الكشاف (١/ ٤٥٦).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٣) البحر المحيط (١/ ٢٢٥). وانظر : المحتسب في القراءات الشاذة لأبو الفتح ابن جني (١/ ١٢٣) ، الدر المصون (٢/ ٤٦٧)، الكشاف (١/ ٤٥٦).

(٤) الكشاف (١/ ٤٦٥).

(٥) الدر المصون( ١/ ٤٦٨).

(٦) البحر المحيط (١/ ٢٢٥).

(٧) انظر : جامع البيان (٤/ ٢١٩ – ٢٢٠ ) وسيأتي بيان ذلك في تفسير الآية بإذن الله تعالىٰ.

ابن عباس ، والفعل يكون مبنيًا للفاعل[1].

٧- (لا تُضَارَرْ) : بفك الإدغام أيضًا وفتح الراء الأولي وسكون الثانية ، قيل : ورواها أبان عن عاصم ، وقرأ بها ابن مسعود (ﷺ)، والفعل يكون مبنيًا للمفعول.

والإظهار في نحو هذين المثلين لغة الحجاز[2].

ولا خلاف عنهم في جميع الأوجه السابقة في مد الألف لالتقاء الساكين[3].

**الخامس: ( وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ) :**

قرأ يحيي بن يعمر : (وعلىٰ الورثة مثل ذلك )[4].

**السادس : ( مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ) :**

١- (ما أُتَيْتم) : بقصر الهمزة ؛ وهي قراءة ابن كثير بقصر الهمزة.

٢- (ما أُتَيْتم) : بالمد ؛ قرأ بها الباقون[5].

٣- (ما أوتيتم): رواه شيبان عن عاصم ؛ مبينا للمفعول أي : ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ، ونحوها ، قال تعالىٰ : **(وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)**[6].

---

(١) البحر المحيط (١/ ٢٢٥) . وانظر : الدر المصون (٢/ ٤٦٨) ، الكشاف (١/ ٤٥٦).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٢٥) . وانظر : الدر المصون (٢/ ٤٦٨) ، الكشاف (١/ ٤٥٦).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن الفرس (١/ ٣٤٣) ، البحر المحيط (٢/ ٢٢٦) ، الدر المصون (٢/ ٤٧١).

تنبيه : ولم أقف علىٰ هذه الأوجه من القراءة في كتب القراءات المتواترة ، ولا كتابي : المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه أو المحتسب لابن جني.

(٥) انظر : السبعة في القراءات (١٨٣) ، التيسير فى القراءات السبع (٦٤) ، النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٦) البحر المحيط (١/ ٢٢٩) . وانظر : الدر المصون (٢/ ٤٧٦) ، الكشاف (١/ ٤٥٧).

تنبيه : ولم أقف علىٰ هذه الأوجه من القراءة في كتب القراءات المتواترة ، ولا كتابي : المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه أو المحتسب لابن جني.

توجيه القراءتين (المد – القصر)[1]:

قراءة القصر: من باب المجيء ؛ وهو يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد بحرف جر وبغير حرف ، ووزنه فعلتم ، بمعني جئتموه وفعلتموه ، ويقال : أتي جميلاً أي : فعله، وقال : (إن وعده كان مأتيـًا) أي : مفعولاً.

فلما لم يكن في الكلام إلا مفعولاً واحداً بحرف جر (**بِالْمَعْرُوفِ**) قوي حمل المعني عليه.

وقراءة المد : من باب الإعطاء ؛ وهو يتعدي لمفعولين ، ما أعطيتم ، ووزنه أفعلتم ، ودليله : قوله : (**إِذَا سَلَّمْتُم**) والتسليم لا يكون إلا بالإعطاء.

فإذا كانت بمعني (أعطي ) إلىٰ تقدير مفعولين الأول تقدير (هاء) محذوفة من (آتيتم) ؛ أي : آتيتموه – تعود علىٰ (ما) الموصولة ؛ وهي المفعول لقراءة القصر تعدي إليه بغير حرف جر – ، والثاني ضمير محذوف يعود علىٰ المراضع.

والتقدير: (الذي آتيتم نقده إياهن) ، فحذف المضاف (نقد) وأقيم الضمير مقامه ؛ فكان التقدير : ما أتيتموه إياهن ، ثم حذف الضمير من الصلة ، وحذف الضمير المنفصل ؛ فصار (ما آتيتم) بمعني : الذي أعطيتم نقده إياهن.

والتقدير علىٰ قراءة القصر : (الذي أتيتم نقده) ثم صار – كما تقدم – (ما أتيتم) بمعني: الذي أتيتموه (جئتموه ، فعلتموه).

ويجوز أن تكون (ما) مصدرية والفعل بعدها مؤول؛ أي : إذا سلتم الإتيان بمعنىٰ (التأتي) علىٰ قراءة القصر ، وسلمتم الإيتاء أو الإعطاء بمعني (المأتي) علىٰ قراءة المد . وأستغني عن تقدير محذوف.

واختار مكي بن أبي طالب قراءة المد لإجماع القراءة عليها ، وكون (ما ) بمعني الذي أحسن ، وكذا أبو حيان ، والسمين الحلبي.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع (٩٧) ، الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٩٦-٢٩٧) ، البحر المحيط (١/ ٢٢٨ – ٢٢٩)، الدر المصون (٢/ ٤٧٥).

**خامساً : الناسخ والمنسوخ في الآية :**

وذلك في موضعين:

**الأول** : في قوله تعالىٰ : (**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**)

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية:

القول الأول: محكم ؛ والمقصود منه : بيان مدة الرضاع ويتعلق به أحكام منها أنه كمال الرضاع ، وأنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدة الحولين ويجبره الحاكم علىٰ ذلك ، وأنه يثبت تحريم الرضاع في مدة الحولين ولا يثبت فيما زاد(1).

وهذا ما اختاره جماعة من المفسرين أو لم يعرجوا علىٰ النسخ أصلاً: كالإمام الطبري(2)، وابن الفرس (3)، وابن الجوزي (4)، وأبو حيان(5)، والقاضي ابن عطية(6)،والقرطبي(7)، وابن عاشور(8).

**القول الثاني: منسوخ واختلفوا في الناسخ:**

أ- منسوخ بالاستثناء في قوله تعالي: (**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا**) ؛ فصارت هذه الإرادة بالاتفاق ناسخة لحولين كاملين(9).

ب- منسوخ بقوله : (**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**) (10).

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) : " قال شيخنا علىٰ بن عبيد الله وهذا قول بعيد؛ لأن الله تعالىٰ قال في أولها : (**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**) فلما قال في الثاني : (**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا**) خير بين الإرادتين وذلك ؛ لا يعارض المدة المقدرة في

(١) زاد المسير (١٤١).
(٢) جامع البيان (٤/ ٢٠٦-٢٠٧).
(٣) أحكام القرآن (١/ ٣٤٤).
(٤) زاد المسير (١٤١).
(٥) البحر المحيط (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).
(٦) المحرر الوجيز (٢/ ٢٩٣).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٠٩).
(٨) التحرير والتنوير (٢/ ٤٣١).
(٩) انظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (٥٤-٥٥) ، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (٢٩) ، زاد المسير (١٤١).
(١٠) روي هذا عن قتادة والربيع ؛ انظر : جامع البيان (٤/ ٢٠٥-٢٠٦).

التمام " أهـ[1].

فإن الله تعالىٰ بقوله (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) أعطي معني جواز الفطام ، ثم أكد ذلك بقوله: (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا)[2].

**الراجح:**

يظهر مما سبق أن هذا الجزء من الآية محكم ؛ إذ ما قيل فيه أنه ناسخ إنما هو من باب تعليق الحكم بالتخيير ، ولا يكون في ذلك نسخ.

**الثاني: فيْ قوله (وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ):**

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) – رحمه الله – : " في هذه الآية للعلماء أقوال فمنهم من قال هي منسوخة ، ومنهم من قال إنها محكمة ؛ والذين قالوا إنها محكمة لهم فيها ستة أجوبة " أهـ[3].

**القول الأول: منسوخة:**

روي ذلك عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: " لا يلزم الرجل نفقة أخ ولا ذي قرابة ولا ذي رحم منه قال: وقول الله عز وجل (وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) هو منسوخ"[4].

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) – رحمه الله – : " هذا لفظ مالك ولم يبين ما الناسخ فها ، .. ولا علمت أن أحداً من أصحابه بين ذلك ، والذي يشبه أن تكون الناسخ لها عنده والله أعلم أنه لما أوجب الله عز وجل للمتوفي عنها زوجها من مال المتوفي نفقة حول والسكني ، ثم نسخ ذلك ورفعه ، نسخ ذلك أيضـاً عن الوارث " أهـ[5].

---

(١) زاد المسير (١٤١).
(٢) أحكام القرآن لابن الفرس (١/ ٣٤٤).
(٣) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦٣) . وسيأتي بيان هذه الأوجه في موضعها عند تفسيرها (٧٥- ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١).
(٤) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦٣-٦٤) من رواية عبد الرحمن بن القاسم عنه ، وفيها ضعف.
(٥) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٦٤).